Scanned by CamScanner

الفصل الأول

جهاز كشف الكذب

تعريفه:

يمكن أن يعرف بأنه ذلك الجهاز الذي يقوم بتسجيل بعض التغيرات الفيزيولوجية «ضغط الدم، والتنفس، ودرجة مقاومة الجلد للتيار الكهربائي» التي تظهر على الفرد من خلال التحقيق معه.

ومن دراسة هذه التغيرات من خلال تحليل الرسوم البيانية التي سجلها الجهاز ومن تقييم كل الأدلة المتوفرة خلال التحقيق يمكن عندئذ التأكد من صدق أو كذب الشخص موضوع الاختبار في إجابته على الأسئلة الموجهة إليه [1].

نظرة تاريخية:

إن فكرة الاعتماد على التغيرات الفيزيولوجية في كشف الحقيقة ليست فكرة حديثة بل معروفة منذ القدم، فقد كان الفيلسوف اليوناني أرسطو يجس نبض الشخص ليعرف أنه صادق في كلامه أم لا، فإن أسرع نبضه دل ذلك على اضطرابه وكذبه، وإن كان نبضه عاديًا دل ذلك على العكس.

أما الصينيون القدماء فكانوا يضعون في فم المتهم حفنة من الرز الجاف غير

---

(١) في جهاز كشف الكذب انظر فؤاد أبو الخير وإبراهيم غازي، المرجع السابق، ص ٥٧٩ وما بعدها ـ أحمد خليفة ، المرجع السابق، ص ٦٦ وما بعدها سامي صادق الملا، المرجع السابق، ص ١٢٨ وما بعدها سامي صادق الملا، المرجع السابق، ص ١٢٨ وما بعدها محمد سامي النبراوي المرجع السابق ص ٤٩١ وما بعدها، حسين محمد علي الجريمة وأساليب البحث العلمي الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦ ص ٢٦٩ وما بعدها سعد جلال، أسس علم النفس الجنائي عام ١٩٦٦، ص ٤١٢ وما بعدها ـ زين العابدين سليم ومحمد إبراهيم زيد، الأساليب العلمية الحديثة في مكافحة الجريمة، المنظمة الدولية العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة عام ١٩٦٨ ص ٤٤ وما بعدها ، بغداد .

Scanned by CamScanner

المطبوخ فإذا ما ظهر في نهاية التحقيق أن الرز ما زال جافًا فإن هذا كان يعني عندهم بأن الشخص موضوع التجربة هو الجاني. فقد تبدو هذه التجربة مضحكة للوهلة الأولى ولكنها تستند في الواقع على أساس علمي، إذ أن الشخص البريء تستمر غدده اللعابية في إفراز اللعاب، أما المتهم فيجف لعابه لأن عملية إفراز الغدد اللعابية تتعطل نتيجة لانفعال الخوف.

ومازالت بعض القبائل العربية تلجأ إلى طريقة مشابهة في كشف الكذب، فيطلبون من المشتبه به أن يلحس بلسانه وعاء من المعدن المحمى فإذا احترق لسانه، نتيجة كعدم إفراز الغدد اللعابية، كان ذلك دليل على أنه مذنب.

ويلاحظ بأن هذه الوسائل البدائية بالرغم من اعتمادها على أساس علمي فيزيولوجي سليم إلا أنها غير دقيقة إذ لا تستطيع أن تكشف عن التغيرات الطفيفة، ولذلك التجأ العلماء إلى استخدام وسائل علمية أكثر دقة في التحقيق أهمها جهاز كشف الكذب.

أقسام الجهاز:

يقسم جهاز كشف الكذب إلى أقسام ثلاثة وهي كما يلي:

١ - قسم التنفس.

٢ ـ قسم ضغط الدم.

٣ ـ قسم درجة مقاومة الجلد لتيار كهربائي ضعيف.

لكل من هذه الأقسام الثلاث ريشة ترسم خطوط بيانية على ورقة متحركة باستمرار. وترسم الريشة الخاصة بحركات التنفس الخطوط البيانية في أعلى الورقة وتلك الخاصة بالضغط الدموي في أسفل الورقة، أما الريشة الخاصة بالمقاومة الكهربائية فترسم خطوطها في منتصف الورقة.

يجلس الشخص المراد اختباره على مقعد ويلف حول صدره أنبوبًا من المطاط بصورة تسمح له بالتمدد والانكماش حسب حركة الشهيق والزفير، ويربط بذراعه

Scanned by CamScanner

جهاز لتسجيل ضغط الدم ويوضع كفه على لوحين من المعدن لتسجيل إفراز العرق عن طريق تمرير تيار كهربائي ضعيف.

ويبدأ الباحث بعدئذ بشرح عمل الجهاز وطريقة تشغيله للشخص المختبر ويفهمه بطريقة بسيطة كيف سيكشف الجهاز عن كل جواب لا يتوخى فيه الصدق.

كيفية توجيه الأسئلة خلال الاختبار:

إن أصعب المشاكل التي تواجه الاختبار بواسطة جهاز كشف الكذب هي طريقة وضع السؤال للشخص موضوع التجربة، وعلى كل حال هناك ثلاثة طرق في كيفية توجيه الأسئلة وهي:

١ ـ طريقة الأسئلة المحايدة – المحرجة.

٢ ـ طريقة الصدمة بواسطة السؤال.

٣ ـ طريقة قمة التوتر.

والآن نأتي على شرح كل طريقة من هذه الطرق مع شيء من التفصيل.

أولاً: طريقة الأسئلة المحايدة المحرجة:

بموجب هذه الطريقة يوجه الشخص الذي يقوم بالاختبار أسئلة تكون أجوبتها معروفة إليه، والتي لا يثير محتواها أية شحنة عاطفية بالنسبة للشخص موضوع الاختبار، وهذه هي الأسئلة المحايدة أو العادية فيسأله مثلاً هل إن اسمك حمزة بن خلف؟ هل أنت متزوج؟ هل تدخن؟ هل تشرب القهوة؟ هل لك أطفال؟ ويوجه بعدئذ أسئلة خاصة لها علاقة بالواقعة موضوع التحقيق يقصد منها إثارة الانفعال، وهذه هي الأسئلة المحرجة فيسأله مثلاً هل سرقت المنزل؟ هل قتلته بسكين؟ هل دهسته بسيارتك؟.... إن الغرض من توجيه الأسئلة المحايدة هو:

١ ـ تثبيت قواعد عامة حول ردود فعل الشخص موضع التجربة والتي تظهر في تنفسه وإفراز عرقه بقصد مقارنة آثار الأسئلة المحرجة أو المتعلقة بالجريمة واكتشاف

Scanned by CamScanner

موضع الاضطراب أو الكذب.

٢ ـ إن الأسئلة المحايدة تسمح بتقليص التوتر العصبي للشخص الموضوع تحت الاستجواب وعليه فمن المستحسن بعد كل ثلاثة أسئلة محرجة وضع مجموعة من الأسئلة المحايدة أو العادية حتى يسمح بإرجاع الحالة النفسية للشخص المستجوب إلى وضعها الطبيعي، خاصة إذا حصل رد فعل إيجابي بالنسبة لإحدى الأسئلة المحرجة، وفي جميع الأحوال فإن الأسئلة التي تطرح محايدة كانت أو محرجة يجب أن تكون صريحة، وواضحة، ومختصرة، وخالية من التعقيد، وتصاغ بحيث يكون الجواب عليها أما بـ (نعم) أو (لا) أو (لا أعرف) وإلا فإن الجواب إذا كان أكثر من ذلك فقد يؤدي إلى تغيير الخط البياني للتنفس وهذا مما يؤدي إلى تشويه ردود الفعل الإيجابية التي تشير إلى الكذب.

وعلى القائم بالاختبار أن يحضر قبل البدء فيه مجموعة من الأسئلة العادية وهي عادة واحدة بالنسبة لجميع الأشخاص، وبعض الأسئلة المحرجة حسب طبيعة ونوع الجريمة إن المجموع الكلي يجب أن لا يتعدي ٢٠ –٢٥ سؤال لكل تجربة، ويلاحظ بأن أول ٥ –٦ أسئلة يجب أن تكون عادية، على أن تكون هناك في الوقت نفسه فترة استراحة مناسبة بين الأسئلة المحايدة والأسئلة المحرجة.

يعاد الاختبار الأول مرة ثانية بتوجيه الأسئلة عينها وبنفس الترتيب ثم تطابق النتيجتان، فإذا قام شك أو اختلاف في الخطوط التي رصدها الجهاز أعيد الاختبار مرة ثالثة وتسأل الأسئلة نفسها التي حصل فيها الاختلاف دون سواها.

تعتبر طريقة الاختبار هذه من أحسن الطرق وأسلمها إذا كان القائم بالاختبار يملك معلومات كثيرة حول الواقعة موضوعة البحث.

ثانيًا: طريقة الصدمة بواسطة السؤال:

يكون الاستجواب بموجب هذه الطريقة بواسطة وضع سؤال محرج يوجه الشخص مباشرة، ولا ينصح الأخذ بهذه الطريقة في الاستجواب ذلك لأنها تؤدي إلى صعوبة التفريق بين رد الفعل الحاصل نتيجة للدهشة من السؤال وبين ذلك الحاصل

Scanned by CamScanner

نتيجة للكذب في الإجابة على السؤال.

ثالثًا: طريقة قمة التوتر:

لهذه الطريقة فائدة كبيرة وتستخدم غالبًا بإضافتها للطريقتين السابقتين.

ويلتجأ إليها بصفة خاصة عندما تكون هناك وقائع غير معروفة إلا من قبل الجاني الخاضع للتحقيق، إن هدف هذه الطريقة هو معرفة الشيء أو المضمون «اسم الشخص، تاريخ، مبلغ، نقود، جسم الجريمة، موقع جغرافي، نوع الجريمة، دخول المنزل، السلاح المستخدم، الذي يظهر الشخص بالنسبة رد فعل عاطفي، رد الفعل هذا يبين بأن هناك معرفة بالواقعة قد تثبت بأن الشخص موضوع الاختبار مسؤول عن الفعل الإجرامي الذي يحقق فه. والآن نأتي بمثل عملي يوضح هذا النوع من الاستجواب:

كان قد اشتبه في شخص بأنه قتل وسيطًا تجاريًا متنقلاً ثبت اختفاؤه مدة طويلة ووجدت سيارة التاجر المختفي في حوزة الشخص المشتبه به. وبعد الاختبار الذي أجري عليه بواسطة جهاز كشف الكذب بطريقة «الأسئلة المحايدة – المحرجة» وجد بأن هناك احتمالاً قويًا بأنه كان يكذب عندما كان يجيب على السؤال التالي: هل أنت قتلت الوسيط التجاري المختفي؟ وعليه سئل المتهم فيما إذا كان المجني عليه قد مات غرقًا أو تسممًا أو بسلاح ناري.... إلخ . وكان هناك رد فعل له معنى أمكن الحصول عليه عندما وجه السؤال التالي: «هل مات بطلقة من سلاح ناري؟» وسئل الشخص بعدئذ حول الطريقة التي تخلص بها من الجثة. وصيغت بعد ذلك عدة أسئلة تتضمن وسائل مختلفة للتخلص من الجثة وأمكن الحصول على رد فعل له دلالة معينة عند توجيه السؤال، هل دفنت الجثة وبعد استجواب أعمق كان هناك رد فعل خاص حول كلمة «مقبرة» .

وبدأت التحقيقات تتجه إلى الموقع الجغرافي للمقبرة وعرضت بعد ذلك على المتهم خريطة تبين المناطق التجارية حيث كان رد فعل معين بالنسبة لمنطقة معينة.

قسمت هذه المنطقة عشرة أقسام وعرضت على المتهم حيث استبعدت تسعة منها

Scanned by CamScanner

وانحصرت الشكوك في منطقة مساحتها ثلاثة كيلو مترات مربعة وإلى حد هذه النقطة من التحقيق رفض المتهم الاستمرار في الاختبار وقام وحطم جهز كشف الكذب، وفي المنطقة التي انحصرت فيها الشكوك نتيجة لإشارة الجهاز إليها وجد بأن هناك مقبرتين صغيرتين. ووجدت جثة الوسيط التجاري المختفي في واحدة منها.

يجب على القائم بالاختبار، عند استخدامه لأية طريقة من طرق الاستجواب الثلاثة، أن تتوفر لديه كل المعلومات حول الحادثة والتي كانت قد تأكدت من قبل الشرطة. إذ في الواقع أن وظيفة جهاز كشف الكذب هي التأكد من أمور معروفة سابقًا من قبل الشخص القائم بالاختبار وكذلك التأكد من فرضيات الإدانة التي كان قد كونها ولكنها لم تبرهن بصورة كافية.

العوامل التي تؤثر على الشخص المراد اختباره:

توجد عوامل متعددة تقف أحيانًا عقبة في سبيل استخدام الجهاز استخداما صحيحًا، فهناك بعض الأشخاص الذين – رغم قولهم الصدق عند اختبارهم – قد يكونوا متأثرين بمؤثرات عدة منها:

١ ـ القلق من مجرد الاتهام.

٢ ـ الخوف من احتمال خطأ جهاز كشف الكذب.

٣ ـ الألم الذي يصاحب تثبيت بعض أجزاء الجهاز على أجسامهم.

٤ ـ الرغبة الملحة في التعاون مع الخبير.

٥ ـ الاضطراب الشديد عند سؤالهم أسئلة شخصية محرجة بعيدة عن موضوع الجريمة.

٦ ـ الاستجوابات الكثيرة التي سبقت استخدام الجهاز لا سيما إذا كانت مقترنة باعتداءات جسمية.

٧- الشذوذ الجسمي (ضغط الدم غير الطبيعي ، وأمراض القلب ، وأزمات التنفس أو الصدر).

Scanned by CamScanner

٨ ـ الشذوذ العقلي (التخلف العقلي، والأمراض العقلية والنفسية).

ومن ناحية أخرى فإنه يحصل أحيانًا تعذر استجابة الشخص أثناء الاختبار وذلك للأسباب التالية:

١ ـ قلة المبالاة.

ب – القدرة على التحكم الواعي في الاستجابات العاطفية بنتيجة استعداد خاص أو تصرفات عقلية خاصة.

جـ – تبرير الجريمة قبل الاختبار إلى الحد الذي لا تثير فيه الأسئلة الخاصة بها أية استجابة عاطفية.

د ـ محاولة تعطيل عمل الجهاز بالتحكم في التنفس.

هذا وإن نجاح استخدام الجهاز يتوقف على توفر شروط مختلفة قررتها الأكاديمية لخبراء البوليكراف لعام ١٩٥٧ ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١ ـ ضرورة الاطمئنان إلى سلامة الجهاز سلامة تامة في تسجيله لحركات القلب والأوعية الدموية وحركة التنفس.

٢ ـ ضرورة أن يكون مستخدم الجهاز ملمًّا إلمامًا كافيًا في علم النفس وعلم وظائف الأعضاء فضلاً عن الخبرة والتدريب الكافي.

٣ ـ يشترط فيمن يستخدم الجهاز صفات شخصية معينة، كالاتزان الانفعالي ، والذكاء والصبر والتواضع والصدق والموضوعية.

٤ ـ يجب أن تكون أسئلة الاختبار عن الموضوع الذي يطلب فحصه، إما مجال الأسئلة فيحددها الموضوع نفسه، وترك صياغتها لمهارة القائم بالاختبار.

٥ ـ يجب أن تكون هناك صلة بين موضوع التحقيق والأشخاص المختبرون.

٦ ـ ينبغي أن لا تجري اختبارات البوليكراف «جهاز كشف الكذب» إلا على أشخاص سليمي الجسم والعقل والوجدان، ويجب تأجيل الاختبار في حالة الشك في أحد هذه الأمور.

Scanned by CamScanner

٧ ـ يجب أن تتسم غرفة الاختبار بالبساطة والمظهر الفني حيث يجب أن تخلو مما يشتت البصر أو الضوضاء أو الحرارة غير العادية أو أي شيء يحول دون نجاح الاختبار.

٨ ـ يجب أن يكون تقرير الخبير في النهاية دقيقًا وشاملاً لما دار أثناء الاختبار واضحًا متصلاً بموضوع التحقيق وبرأيه الفني في نتائج الاختبار.

بعض التساؤلات:

ترد في كثير من الأحيان بعض التساؤلات حول جهاز كشف الكذب، ويمكن تلخيص أهم هذه التساؤلات في النقاط التالية:

١ ـ هل يجوز وضع الشخص تحت الاختبار بدون رضاه.

٢ ـ ما هي قوة هذا الاختبار في الإثبات؟.

٣ ـ ما هي القيمة العملية لهذا الجهاز؟.

بالنسبة للتساؤل الأول:

يمكن القول بأنه من الواضح أن رضاء الشخص يضفي على الاختبار بواسطة الجهاز الصفة الشرعية وبالتالي لا يدع مجالاً لأي اعتراض، ولكن الموقف يختلف فيما لو امتنع الشخص عن أن يمتثل لإجراء الاختبار، فما هو الحل يا ترى؟ هل يجبر أم لا؟ مما لا شك فيه أن الإجبار يتنافى مع أبسط قواعد الحرية الشخصية في أدق صورها، إلى جانب أنه لا يتفق مع مبادئ حرية الدفاع.

أما عن التساؤل الثاني:

وهو مدى قوة الاختبار في الإثبات، فيمكن القول بأنه رغم المآخذ والعيوب التي تؤخذ على استخدام الجهاز فإن ذلك لا يمنع من استعماله، وخاصة في مراحل التحقيق الأولى، بقصد تضييق دائرة الاتهام واستبعاد الجهود العشوائية في التحقيق، فهو بمثابة عامل مساعد ينير الطريق أمام التحقيق وليس دليلاً حاسمًا يعتمد عليه في البراءة أو الإدانة.

Scanned by CamScanner

وأما فيما يتعلق بالتساؤل الثالث:

وهو قيمة الجهاز العملية، فيمكننا أن نقول بأنه إذا كان جهاز كشف الكذب لم يصل حتى الآن في نظر القضاء إلى مستوى الدليل المقنع أو حتى القرينة في إثبات الإدانة أو البراءة في القضايا الجنائية، فإنه في الوقت الحاضر يؤدي لرجل التحقيق خدمات جليلة، إذ دلت التجارب العديدة التي قام بها رجال الشرطة والمحققون بواسطة الجهاز على أن ما يقارب من ٥٠٪ من مجموع الحالات التي كشف الجهاز عن إدانة أصحابها اعترفوا بجرائمهم بمجرد مواجهتهم بالأدلة العلمية، فالجهاز قد يهدي المحقق إلى الطريق السوي الذي يتعين عليه أن يسلكه ليصل إلى ضالته المنشودة في تعقب الجاني دون البريء، فهو يحصر التحقيق في أضيق مجال مما يوفر على رجال التحقيق كثيرًا من الجهود والنفقات التي تبذل هباء مع أشخاص أبرياء.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner